وقفة بين مرحلتين

خطبة صاحب السعادة واصف باشا غالي

في عيد المقتطف الخمسيني

سيداتي ايها السادة

انما الحياة ذكرى وامل . فمتى اعترضت المرء تلك الساعات المظلمة العصيبة التي تثقل عليهِ فيها وطأة الايام وتجمع فوق رأسهِ المكاره والاشجان لجأ مدفوعاً بحكم غريزتهِ اما الى الماضي بقلب ما اشتملت عليهِ صحائفهُ من عظمة وبهاء واما الى المستقبل يحاول ان يستشف ما يحيطهُ بهِ من صور خلابة تكسبها اسرار الغيب روعة وجمالاً

فكم من فتى تعلق باذيال الماضي فوداً لو عاش في قصر هارون الرشيد يمرح في مراتع الانس والطرب او في ساحات الوغى ايام صلاح الدين يخترق الصفوف ويرى « الجنة تحت ظل السيوف »

وكم من رجل مجرب ناضج تمنى لو يبعث من مرقده فيحيى حياة جديدة يتصورها خيراً من حياتهِ الحاضرة واكثر اتفاقاً مع مقتضيات الثقافة وانطباقاً على احكام العقل

لعلة اليوم وهي تعود بنا خمسين عاماً الى الوراء تحملنا على الوقوف هنيهة وقفة تأمل وتدبر لنتبين الطريق الذي اجتازتهُ الانسانية بعد جهود نصف قرن من الزمان عسى ان نتعرف في ضوء هذا القياس ما نتوقع ان تقطعهُ من مراحل الحياة وما ننتظر ان نشرف عليهِ في قابل الايام

نحن اذاً في عيد حقيق للذكاء البشري والرقي الفكري . فهلموا ايها الكتّاب والادباء تعالوا سراعاً من جميع ارجاء العالم العربي . تعالوا الى حدائق المقتطف اليانعة واستظلوا بظلال اشجارها الباسقة التي مضى عليها نصف قرن من الزمان واصحابها يتعهدونها ريّاً بماء العلم والفضل . واقطفوا ما حلا لكم من ازهار بعضها لم تتفتح عنهُ الاكمام الا بالامس وكلها قد ملأت تلك الحديقة الغناء شذىً وعبيراً طيباً . ولكل ان يتبع هوى نفسهِ ويلبي نداء وجدانهِ . فمن شاء فليمعن في استقصاء الماضي ومناجاة الطلل البالي . ومن شاء فليسمُ الى تلك السموات العلى المحجبة بحجاب الاقدار التي ندعوها المستقبل . ففي عالم الفكر لا سلطان الاّ للحرية

هلموا معاشر الشعراء « تذكروا ليلى والسنين الخواليا » واسكبوا الدمع على سحر ذلك الحب القديم وعلى ورود ذوت وذبلت او دعوا الماضي وتعالوا فتغنوا بزهرة لم يعرف لها اسم يعد هي خير من الورد رقة وجمالاً ودون الحبيبة دلالاً وجلالاً

وانتم ياجماعة المؤرخين ارشدونا لنا تجرى الحوادث وقولوا — وانتم العلميون بان المستقبل وليد الحاضر — اى طريق نحن سالكون ولاية غاية نحن واصلون ؟

وانتم ايها العلماء نبئونا الى اي حد تصل فتوح العلم وغزواته في نهاية القرن العشرين بل حدثونا عن الاكتشافات الحاضرة وهل هي حقاً لم تزد الحياة تركيباً وتعقيداً وهي تحاول ان تزيدها تبسطاً وتسهلاً

وانتم يادعاة الفضيلة ويارجال الاخلاق خبرونا هل كان لهذا الرقي المادي من اثر في حياة الناس الادبية ؟ وهل اصبح الحق والعدل هذه الايام اكثر احتراماً وارفع مقاماً منهُ قبل خمسين عاماً ؟

وانتم يامعاشر الفلاسفة حدثونا عن مبلغ تقدم الفكر البشري وهل سيحين الوقت الذي نرى فيهِ الحب والحرية والاخاء ناشرة الالوية على جميع الارجاء ؟

وانتن ايتها السيدات النبيلات اللتين تنظرن على ذلك القفص العتيق الذي خرجتن منهُ بعد طول الجهاد ثم اسأنفن سيركن في طريق الكمال بتلك الخطى التي جمعت بين الجرأة والحكمة والرشاقة . ومن يدري ؟ فقد يؤدي جهادكن في سبيل تحرير المرأة الى . . . تحرير الرجال . ويالها حينئذٍ من خاتمة بديعة للحركة النسائية

سادتي : ليس تعداد هذه المسائل التي يثيرها في الخاطر اجتماع اليوم مجرد عبث او ادعاء قدرة على حلها وانما القصد من طرحها أن نكشف عن ذلك الميدان الواسع الذي يستطيع ان يمرح فيهِ العقل والخيال حتى يتجلى لكم هذا الاحتفال بما فيهِ من اهمية بالغة ومعان سامية اذ اهمية كل اجتماع انما تقاس بجدة العواطف التي يبعثها وعمق الافكار التي يخلقها والذكريات التي يحييها والدروس التي يلقيها والمسائل المختلفة السامية التي تقسر العقول على فهمها ومثابرة العمل على حلها . واجتماع اليوم غني بهذا كلهِ غني برعاية المليك التي توجتهُ

على اني اريد قبل ان اختم هذه الكلمة ان اعرب عن امنية تخالج نفسي وهن بعض العبر الجديرة بالنظر في احتفال اليوم

اما الامنية فهي ان تكثروا من امثال هذا الاجتماع وان تقيموا الاعياد في الايام

الكبرى من تاريخكم القومي . ان لكم لتاريخاً مجيداً حافلاً بالمفاخر والمآثر . فمن حقكم ان تأخذوا منهُ ما شئتم من اسباب التفاخر ولكن من واجبكم ان تبحثوا في طياتهِ عن فضائل اجدادكم وما انتقل اليكم منها في دمائكم وان تستقصوا في ثناياهُ للعمل بها اسرار حضارتكم العظيمة الخالدة

واما العبر التي نستخلصها من العيد الخمسيني للمقتطف فهي عديدة اجتزئ منها بما يأتي:

اولاً — ان لحب العلم قوة لا تقاوم فهو الذي حمل مؤسسي هذه المجلة على الهجرة من بلادهم طائعين مختارين ففصحوا بالحنين الى الوطن على مذبح الحنين الى العلم

ثانياً — ان ليس للعلم وطن خاص فهو يحب ويزهو حيثما وجد التربة صالحة وكلما زاد العلماء في نشرهِ اسرافاً وتبذيراً ازدادت دائرتهُ نوراً واتساعاً

ثالثاً — ان كل بلد يفتح ابوابهُ لاصحاب العلم والفضل ويرحب بذوي العزائم القوية والافكار الحرة يجني من وراء ذلك احسن الثمار

رابعاً — ان المقتطف قد آثار في العالم العربي حب المعرفة والاستطلاع العلمي

خامساً — انهُ قدم لنا المثل الاعلى على الثقة بالنفس والمثابرة في طريق الخير

سادساً — انهُ بافساحهِ صفحاته لمتضارب النظريات ومختلف الآراء في العلم والادب والتاريخ والفلسفة وما الى ذلك من الابحاث القيمة قدم للناس درساً عالياً في التسامح الذي يصح ان ندعوهُ بالكرم العقلي

سابعاً — ان لهُ فضلاً ظاهراً في رفع المستوى الادبي لرجال القلم وكشف مواهب الكتاب والمفكرين فساعد بذلك على تأسيس سلطة جديدة في الشرق يدعوها الغربيون بالسلطة الرابعة وهي التي يستظل برايتها رجال الصحافة والمفكرون

ثامناً — انهُ اقام الدليل لابناء الشرق على ان الاكبار والاجلال ليسا قاصرين على ارباب الوظائف الحكومية بل ان هناك شرفاً اعلى واسمى ومجداً اعلى وابقى يضرب فيها بسهم كل مخلص محب للخير وكل باحث عن الحقيقة وناشر لها وكل ساع بجد في ان يكون نافعاً لوطنهِ خاصة وللانسانية عامة

سيداتي . ايها السادة . بالامس احتفلت مصر بالعيد الخمسيني للجمعية الجغرافية الملكية التي ظهرت الى عالم الوجود بفضل امير مستنير فتقدمت للعلم كبرى الخدم

واليوم قد دعانا لفيف من اهل الفضل والادب الى الاحتفال بعيد خمسيني لعمل جليل قام بهِ افراد معدودون وكانت لهُ من الثمرات الطيبة ما عم العالم الغربي بأسره

فهاتان الحقلتان دليل ناطق على ان الشرقيين حكومةً وافراداً يستطيعون ان ينهضوا ليؤسسوا اعمالاً نافعة صالحة للبقاء وان يثابروا على ترقيتها والنجاحها

تلك نتيجة تبشر بالخير العميم وهي تبرر وتقرب امنى المطامع وابعد الآمال

خطبة السيد رشيد رضا

وتلاهُ العالم الجليل الاستاذ السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار فقاه بخطبة نفيسة نلخصها فيما يلي لان سيادتهُ بارح القطر المصري قبل ان يتحفنا بنصها :

كان لي الحظ ان كنت اول من اقترح منذ عشر سنوات الاحتفاء بالمقتطف عند ما يتم الخمسين من عمرهِ واحمد الله على ان اقتراحي قد تحقق ورغبتي قد استجيبت

وقد صرنا الآن نقيم احتفالات كبرى لا ينقصها الاَّ اشتراك الملوك فيها ولذلك تمتاز حفلتنا هذه باشتراك جلالة مليكنا الذي اوفد مندوباً يمثلهُ فيها

وقد خصص لي ان اتكلم في موضوع « اثر المقتطف في نهضة اللغة العربية بالتعليم» وهو موضوع واسع يحتاج في توفيتهِ حقهُ الى سفر كبير ولما فكرت فيهِ قليلاً خطرت لي خمسة عنوانات للكلام او خمسة ابواب لا يسعني التبسط فيها لضيق الوقت فاكتفي بذكرها

الباب الاول : لا يعرف مقدار خدمة المقتطف الاَّ الذين يشعرون بحاجة الامة الى مختلف العلوم والفنون

الباب الثاني : ان هذه العلوم والفنون لا تفيدنا الاَّ اذا اخذناها باستقلال الفكر والاجتهاد في الحكم وان تكون ملكات للامة في نفسها واما حشو العقول بالالفاظ والمصطلحات فضررهُ اكثر من نفعهِ

الباب الثالث : يتوقف هذا الاستقلال على تلقين العلوم والفنون بلغة الامة

الباب الرابع : اشراع الطريق لجعل اللغة تتسع لهذه العلوم والفنون وما يتجدد منها

الباب الخامس : ضرب الامثال للفروق بين تعلم العلوم بلغة الامة وتعلمها بلغة اجنبية وبين الاستقلال والتقليد

هذه المسائل الخمس يحتاج كل منها الى بحث ويتوقف عليها بيان خدمة المقتطف للعلم . ونحن لا بد لنا من العلم والصناعات ولا يمكن ان نحيا بها الاَّ اذا تلقيناها بلغتنا فماذا كان حظ المقتطف في هذه الخدمة

كان من تقلبات القدر ان الم اغنياء امريكيين بان يؤسسوا في سورية مدرسة